الفصل الثانى
مكانة الحوار فى المجتمع المعاصر

الحوار فى اللغة يعنى الجواب يقال حوارا، بفتح الحاء وحوازا، بكسرها ومحاورة وحويرا ومحورة، بضم الحاء على وزن مشورة أى جوابا. وأحار عليه جوابه: رده، والاسم من المحاورة حوير، بفتح الحاء يقال سمعت حويرهما وحوارهما. والمحاورة المجاوبة، والتحاور التجاوب. يقال كلمته فما رد إلى حوارا أى جوابا (*).

وفى اللاتينية « dialogues » مأخوذة عن الكلمة الإغريقية dialogos وتعنى موضوعا مكتوبا، يقوم فيه شخصان أو أكثر بالحوار أو المناقشة لموضوع ما. والحوار بوصفه لونا أدبيا يكون عرضا منظما تنظيما دقيقا عن طريق المحادثة التى يتم تأليفها أو التوجهات الفلسفية أو العقلانية. وأقدم الحوارات المعروفة هى مسرحيات صقلية Sicilian mimes ، وكاتبها هو سوفرون sophron فى بدايات القرن الخامس قبل الميلاد. وقد ذكر أفلاطون هذه المسرحيات فى كتاباته وأبدى إعجابه بها. ويعد الحوار الفلسفى الذى أجاده أفلاطون عام أربعمائة قبل الميلاد إبداعا أدبيا أصيلا.

والحوار من المنظور الدينى يراد به مناقشة بين طرفين أو أطراف، بقصد تصحيح كلام أو إظهار حجة أو إثبات حق أو دفع شبهة، أو رد الفاسد من الرأى.

وبصفة عامة يمكن تعريف الحوار بأنه محادثة بين طرفين أو أكثر، تتضمن تبادلا للآراء والأفكار والمشاعر، وتستهدف تحقيق قدر أكبر من الفهم والتفاهم

(*) ابن منظور : لسان العرب ص ١٠٤٣ .

بين الأطراف المشاركة فيه لتحقق أهدافا معينة يسعى المشاركون فى الحوار إلى إنجازها.

وبذلك يكون الحوار طريقة للتفكير الجماعى، والنقد الفكرى الذى يمكن أن يؤدى إلى توليد أفكار جديدة. ويتسم الحوار بالحركة، والبعد عن الجمود، فهو يعنى الانتقال من حالة إلى أخرى حتى يصل بالفكرة إلى أقصى تطورها. لذلك فالحوار يجب أن يتسم بالديموقراطية والندية والتواضع.

كما أن الحوار هو وسيلة من وسائل الاتصال المعترف بها، وكى ينجح لابد أن تتوافر فيه شروط معينة، منها أن يكون من يقوم بالحوار مؤمنا بقضيته واعيا لأبعادها، وأن يكون مؤمنا بقدرة الحوار على تحقيق حل عادل، ومنها أن تكون الرسالة واضحة وأن يكون لدى المحاور القدرة على الاستماع للآخرين، وأن يجعل الآخر يستمع إليه، والاستماع هنا لا يعنى استماع الأذن فقط ... ولكنه استماع البصيرة والعقل.

ويكتسب الحوار أهميته من كونه وسيلة للتآلف والتعاون، وبديلا عن سوء الفهم، والتقوقع، والتعسف، والفرقة والصراع. وبذلك يصبح الحوار ضرورة، طالما تفاعل الناس وتدافعوا واختلفت انتماءاتهم ومصالحهم وأفكارهم ومشاعرهم تجاه الأشياء والأشخاص من حولهم. ومثلما تتطلب العلاقات بين الناس فتح قنوات للحوار وتبادل الأفكار والمشاعر لتزيد من فرص الفهم المتبادل والتفاهم والتآلف والتعاون، فإن الأفكار ذاتها لكى تنمو وتتطور تحتاج إلى الاحتكاك والتفاعل بين بعضها بعضا لتولد مزيدا من الأفكار.

فما قيمة الحوار؟ وما مدى أهميته فى ظل المتغيرات العالمية والمحلية الاجتماعية والثقافية التى تحيط بالمجتمع العربى المعاصر؟

* * *

الحوار حاجة إنسانية

تزداد حاجة الأفراد إلى امتلاك مهارات الحوار البناء فى مواجهة التحديات التى تفرضها طبيعة الحياة المعاصرة. حيث يتعرض الفرد فى كل وقت لسيل من المعلومات والأفكار والثقافات، عبر الأقمار الصناعية وشبكات المعلومات وأجهزة الإعلام والاتصالات.

وهو ما يتطلب اتخاذ موقف إيجابى نحوها بالحوار الموضوعى والمناقشة والوصول إلى قرارات بشأنها. لذلك فإن تنمية مهارات الحوار تمكن الأفراد من اتخاذ موقف إيجابى مما يعرض لهم من أفكار وآراء وثقافات بدلا من اتخاذ موقف الرفض الكامل لها، أو الانسياق التام وراءها.

وتأتى أهمية استخدام أساليب الحوار البناء، لإشباع حاجة الإنسان للاندماج فى جماعة والتواصل مع الآخرين مع الاحتفاظ بمسافة بينه وبينهم، للحفاظ على وجوده وتفرده. فالحوار الفعال يحقق التوازن بين حاجة الإنسان للاستقلالية وحاجته للمشاركة والتفاعل مع الآخرين.

* * *

الحوار فى ظل عالم متغير

يتميز العصر الحالى بالتطور السريع والقفزات الهائلة فى مجال الاكتشافات والابتكارات العلمية فى شتى ميادين العلم والمعرفة، الأمر الذى أوجد فجوة دائمة ومستمرة بين ما يمتلكه الفرد من معلومات ومعارف، فى أى مجال، وبين آخر ما توصل إليه العلماء فى هذا المجال، وعدم مواجهة هذه الفجوة ومعالجتها باستمرار يعنى الجمود والتخلف.

لذلك أصبحت حاجة الإنسان المعاصر إلى فتح قنوات دائمة للتواصل مع مصادر المعرفة، حاجة أساسية. وتعد الندوات والمؤتمرات واللقاءات العلمية أسرع

وسيلة لنشر المستجدات العلمية فى مختلف المجالات. حيث تقام حوارات وتطرح تساؤلات، وتثار قضايا وأفكار فيما بين المتخصصين والخبراء لتقويم هذه المستحدثات والحكم عليها. وبعد تناول هذه المستجدات على مستوى الخبراء والمتخصصين والحكم على مدى صحتها وفاعليتها على المستوى العلمى، والفنى، تأتى المرحلة التالية وهى الترويج لهذه الابتكارات والاكتشافات بين الناس.

ومن جهة أخرى تزداد أهمية الحوار لمواجهة كم هائل من المشكلات والقضايا التى تواجه الإنسان المعاصر، وتتطلب تكاتف الجهود والتنسيق والتعاون من أجل مواجهتها من ذلك مشكلات نقص المياه، والتلوث البيئى، والإنفجار السكانى، واتساع الهوة بين الدول الفقيرة والدول الغنية، بالإضافة إلى كثير من الصراعات الأيدلوجية والعرقية والاقتصادية فى مناطق عديدة من العالم. «فالتحديات التى يواجهها الإنسان فى كل مكان لا يمكن لفرد أو حتى أمة أن تواجهها بمفردها بل لا بد من التعاون، ففى عصر الأسلحة الفتاكة يجب على الجميع أن يتعلموا كيف يعملون سويا، ولا سبيل إلى ذلك إلا بالتفاوض».

فالحوار فى ظل المتغيرات العالمية المعاصرة، هو الضمان للتنسيق والتعاون والتكامل بين الشعوب المختلفة لتحقيق أكبر قدر من المصالح للجميع. وهو ما دعى دول العالم المتقدم إلى تخصيص مقررات كاملة فى المدارس العليا والجامعات لتدريس فنيات الحوار وأخلاقياته من المنظور الثقافى لكل مجتمع بل إن بعض الجامعات خصصت أقساما علمية بها للتواصل الكلامى تؤهل الدارسين فيها للحصول على درجات الماجستير والدكتوراه فى التواصل الكلامى.

* * *

الحوار فى ظل ثورة الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات

تحول العالم على اتساع أطرافه إلى قرية صغيرة، بفضل التطور الهائل فى الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات. ولم يعد هناك مجال للأحادية الفكرية أو الثقافية فى أى مجتمع فقد انفتحت الأفكار والثقافات على بعضها وتزايدت المخاوف من الهيمنة الثقافية والفكرية من جانب الدول التى تملك التفوق التكنولوجى.

لذلك فإن الأمر يتطلب إقامة حوار فكرى وثقافى يتناول المقومات والعناصر الثقافية للمجتمع بالتحليل والنقد المتعمق من أجل إبراز وتأكيد عناصر القوة، والتطور فيها، واكتشاف وعلاج عوامل الضعف والجمود وبذلك يحدث تجديد مستمر لثقافة المجتمع وتأكيد لمقومات شخصيته لمواجهة محاولات الغزو الثقافى.

ويستدعى الانفتاح على ثقافات العالم، الذى فرضته التطورات العالمية حوارا بين الثقافات المختلفة، للتعرف على عوامل الاتفاق، وعوامل الاختلاف بينها وتقييمها فى ضوء القيم الأصيلة للمجتمع ومعتقداته، لاتخاذ موقف واضح بشأنها.

والمنطقة العربية بتاريخها الطويل، وما تضمه من حضارات مختلفة وتعدد خصائصها الجغرافية وتفرد موقعها أصبحت تضم مزيجا غير متجانس من الأفكار. والانتماءات والتوجهات وأساليب الحياة، مما يستدعى اتخاذ الحوار البناء استراتيجية لخلق الانسجام والتوازن بين هذا المزيج، ووضع الأولويات التى يجتمع حولها أبناء الأمة مهما تعددت مشاربهم وتوجهاتهم.

* * *

الحوار فى ظل المجتمع الديموقراطى

مع التطلع إلى إرساء قواعد الممارسة الديموقراطية وحرية الرأى، يكتسب الحوار فى المجتمعات الراغبة فى التقدم والرقى، أهمية كبيرة باعتباره وسيلة للتعرف على الرأى والرأى الآخر، ولتقويم البدائل المطروحة فى أى موضوع والاختيار من بينها.

فإرساء قواعد الحوار البناء، تعنى القدرة على التعامل الناجح مع الاختلاف، والوصول إلى أفضل البدائل المتاحة ويضمن الحوار الفعال ضبط الممارسة الديموقراطية، وحرية التعبير عن الرأى حتى لا تتحول إلى فوضى وخروج عن الجماعة وانقسام وفرقة حين يتشبث كل طرف برأيه ويسلك وفق ما يراه، مهملا أو متجاهلا وجهات نظر الأطراف الأخرى. فالانفراد والاستبداد بالرأى هو مقدمة للطغيان، والبديل الأمثل هو الحوار.

* * *

الحوار فى مواجهة عوامل التخلف والجمود

مع محاولة المجتمعات العربية للحاق بركب الحضارة، وامتلاك أسباب التقدم والمدنية؛ تبرز كثير من السلبيات وعوامل الضعف التى تعوق محاولات النهوض وترسخ مظاهر الجمود والتخلف. وكثير من هذه السلبيات يتطلب إقامة حوارات هادفة لتصحيح الأفكار وتقويم السلوكيات الخاطئة. فالحوار المنظم بين أصحاب الأفكار التى عاشت أزمانا طويلة فى تناقض شديد وسوء ظن متبادل قد أضحى سمة بارزة، ولعل ذلك من آثار ما ولدته التجربة الطويلة مع الصراع والمعارك المستمرة من اقتناع بعدم جدواها خصوصا فى عالم الفكر والاعتقاد.

ومن السلبيات التى يمكن مواجهتها باستخدام استراتيجية الحوار ما يلى:

الاستبداد والتسلط :

الاستبداد مرض اجتماعى يؤدى إلى انتشار مشاعر القهر، وما يصاحبها من سلوكيات منحرفة حيث ينكمش الصدق وينزوى الوفاء وتتوارى الشجاعة وينتكس العدل وتغيب الرحمة ويشيع الكذب والخيانة والنفاق والمداهنة. قال تعالى: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ** ﴾ [العلق: ٦، ٧] فإحساس الإنسان بالاستغناء برأيه عن آراء الآخرين هو بداية الطغيان والاستبداد.

ويرى حسن وجيه أن «جذور التسلط والتطرف التى تركت لتنمو فى حواراتنا اليومية سياسيا وإداريا واجتماعيا ... نتج عنها اليوم حالة من تأزم العمل الجماعى، الذى دخل فى نطاق تقسيم المجتمع إلى معسكرات وفرق وأحزاب وجماعات، حيث شاعت واحدة من سمات الحوار المتسلط وهى الانقضاض hasty framing .

التعصب :

من سمات المجتمعات المتحضرة نبذ التعصب، حيث يرسم الباحثون صورة للإنسان المتحضر. بأنه أكثر استعدادا لقبول تعدد الآراء، وتعدد وجهات النظر حوله. وأنه لا يفترض أن على الآخرين أن يفكروا مثله تماما وأن وجهة نظره هى وحدها الصحيحة، وأنه لا يتعامل مع آراء الآخرين بطريقة استعلائية، وأنه لا يغلق نفسه على آرائه، وفى نفس الوقت لا يرفض حق الآخرين فى إبداء الرأى، والاختلاف فيه.

وخطورة التعصب أنه يجعل الشخص يغلق عقله على فكرة معينة ويتصرف فى ضوئها. وينظر إلى من يخالفه الرأى نظرة عداء. ويرصد جمال حمدان بعض مظاهر هذا السلوك فى المجتمع بقوله: «قد يكون أعدى أعداء

مصر هم بعض المصريين المتعصبين أولئك الذين يدفنون بإصرار رءوسهم فى الرمال ويتغافلون عمدا عن عيوبنا زاعمين باستمرار أن أم الدنيا مصر بخير، وأن ليس فى الإمكان أبدع مما هو كائن، متشنجين على كل مصرى ينتقد مصر لصالحها، متهمينه بعدم الولاء أو بالخيانة.

فالحوار بمعنى فتح قنوات تواصل لتبادل الأفكار والآراء بطريقة بناءة، أفضل وسيلة لمواجهة التعصب وآثاره السلبية على المجتمع.

أحادية التفكير :

من سلبيات الثقافة العربية التى تستدعى استخدام استراتيجية الحوار لمواجهتها. ما يطلق عليه بعض الباحثين (القولبة) ويعنى تناول القضايا بشكل سطحى، وفصلها عن جميع الأبعاد التى تتصل بها وفصلها عن سياقها المكانى والتاريخى والثقافى.

وهذه القولبة الفكرية تؤدى إلى ظاهرة سلبية أخرى هى أحادية التفكير، حيث تناول القضايا من منظور واحد والحكم عليها فى ضوء بعد واحد من أبعادها وتجاهل باقى الأبعاد ليصدر حكم قاطع برفضها أو قبولها فى ضوء هذا البعد الأحادى فقط.

ومكمن الخطورة فى القولبة، أو أحادية التفكير، أنها توقع المجتمع فى خطأ قبول أشياء أو التعامل معها دون دراسة لكافة جوانبها وأبعادها. الأمر الذى تأتى معه النتائج مخيبة للآمال والتوقعات التى بنيت على أسس منقوصة وغير واضحة. والخطأ الآخر الذى لا يقل خطورة هو رفض أشياء أو الاستهانة بها لافتقاد الرؤية الواضحة لكافة أبعادها مما قد يكون له عواقب سيئة لم تكن متوقعة. والحوار فى مواجهة هذه الآفات الفكرية ضمان للتعدد فى الرؤى والأفكار حول القضايا المختلفة بما يضمن تحقيق فهم أعمق وأشمل لها واتخاذ موقف أكثر موضوعية بشأنها.

العنف والإرهاب :

فى مواجهة الاختلاف فى الأفكار والمعتقدات والمشاعر بين البشر، يكون البديل عن الحوار تقوقع وانعزا ل وانسحاب من المجتمع، أو عنف وإرهاب لفرض وجهة نظر معينة على الآخرين.

وتكمن خطورة غياب الحوار فى المجتمعات المعاصرة، فى سرعة وكثرة التطورات التى تشهدها هذه المجتمعات فى مختلف مجالات الحياة، وتفاوت قدرة الأفراد على استيعابها والتعامل معها، حيث تتباين المواقف تجاه تيارات التجديد من تشبث بالماضى ورفض كامل للتعامل أو معايشة الحاضر، وبين انسلاخ عن الماضى وانبهار بكل جديد، وبين هذا أو ذاك توجد درجات متباينة من الموازنة بين الماضى والحاضر يتوقف عليها رؤية الأفراد للصورة التى ينبغى أن يكون عليها المستقبل.

ونتيجة لهذا التباين أصبح المجتمع يضم بين جنباته تيارات فكرية متصارعة تتجاذب أبناءه وإما أن تتاح لأصحاب هذه الأفكار فرص جيدة وبناءة للتعبير عن أفكارهم واتجاهاتهم وتطلعاتهم من أجل تحقيق مزيد من الفهم والتفاهم بين أصحابها، أو أن تغلق أمامهم فرص التعبير عن أنفسهم وإعمال عقولهم والتفكير والإقناع فيكون البديل محاولة فرض الرأى بالقوة، وتغيير الأوضاع بالعنف وإرهاب المخالفين. وبذلك يكون «الحوار الفعال وسيلة للتعامل بكفاءة مع الاختلافات».

اللامبالاة :

تكمن خطورة اللامبالاة والسلبية فى كونها تشتت جهود أبناء المجتمع وتضعف أثرها. وتجعل المشكلات والسلبيات تتفاقم وتزداد خطورتها. قال رسول الله ﷺ : «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب» والسلبية تتعارض مع مبدأ التعاون الذى أقرته الآيات قال تعالى ﴿ **وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ** ﴾.

وقد زادت طبيعة الحياة المعاصرة من انتشار ظاهرة اللامبالاة والسلبية لتعقد الحياة، وسرعة إيقاعها، وزيادة الأعباء الملقاة على عاتق الفرد. الأمر الذى يزيد من أهمية ترسيخ ثقافة الحوار وتنمية قدرة الأفراد على الالتزام بأسس الحوار البناء من أجل مزيد من التفاهم والتعاون.

ذلك أن دخول الإنسان فى حوار منظم حول قضية معينة، يعنى اهتمامه بها وتفكيره تفكيرا متعمقا بشأنها، كما يعنى الاعتراف بوجود الطرف الآخر. من ثم فإن نشر ثقافة الحوار من الاستراتيجيات الفعالة لحشد طاقات المجتمع تجاه القضايا المهمة فى المجتمع مثل، الأمية والتلوث البيئى ونشر الوعى الصحى والبطالة ويتطلب الحوار حول هذه القضايا الملحة، جمع المعلومات والبيانات المتعلقة بها استعدادا لتبادل الأفكار والآراء بين الأطراف المشاركة فى الحوار والخروج بمقترحات أو قرارات بشأنها.

وبعد أن تعرفنا فى هذا الفصل على مكانة الحوار فى المجتمع المعاصر، كان لزاما أن نتعرف على الحوار فى الشريعة الإسلامية، وأنواع الحوار والضوابط التى تحكم كلا منها، وهذا ما سوف يتناوله الفصل التالى.

* * *